Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رسول الله ﷺ حين مات ابنه إبراهيم دمعت عينا رسول الله ﷺ فقال عبد الرحمن بن عوف: اتبكي يا رسول الله وقد نهيت عن البكاء؟ فقال: إنما نهيت عن النياحة، وأن يندب الميت بما ليس فيه وإنما هذه رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم، ثم قال: إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلاّ ما يرضي ربنا، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون.

وهكذا نجد أن النصوص الشرعية إذا وردت بما يفيد التكليف بشيء لا قدرة للإنسان عليه فإن المراد به التكليف ما يسبق الواقعة أو يعقبها لضبط النفس لتجنب الأسباب التي تفضي إليها، أو ضبط النفس درءاً للنتائج التي تنجم عنها، فالمعنى إذن في النصوص في مثل هذه الحالات يكون مصروفاً عن ظاهرها مثال ذلك قوله تعالى:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

فظاهرة التكليف هنا ألاّ يحزن الإنسان على شيء يفوته من الدنيا ولا يفرح بشيء أتاه منها، وبالطبع هذا ليس في مقدور الطبيعة البشرية فليس هذا هو المراد إنما المراد منع الناس، وكفهم عن السخط والتذمر وعدم الرضا الذي يؤدي إلى الحزن والاسترسال فيه ومن هذا المنطلق قال ابن عباس رضي الله عنه تعالى عنهما:

«ليس من أحد إلاّ وهو يحزن ويفرح، ولكن المؤمن يجعل مصيبته عبراً وغنيمة وشكراً».

وكذا في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

(1) سورة الحديد، الآية: 21.

(2) سورة آل عمران، الآية: 102.